

الكاتبة العربية من رهان الجسد إلى رهان القضايا العالمية..
موازاة للخطاب الذكوري أم نضجا للوعي الأنثوي؟

The Arab Woman Writer from Bodily Preoccupation to Global Issues: Is It a
Parallel to Male Discourse or Maturation of Female Consciousness?

د. صياد مليكة*
جامعة محمد بوضياف - المسيلة
(الجزائر)

Malika.sayad@univ-msila.dz

تاريخ النشر: 2025/09/29

تاريخ القبول: 2025/09/23

تاريخ الاستلام: 2025/06/24

ملخص:

بعد مُضي حوالي ستة عقود عن ازدهار الكتابة النسوية، وما عرفته الساحة النقدية التي تراوحت بين مرحب ومنكر، مشجع ومثبط، قابل ورافض، وبعد ما صاحب الظاهرة من إشكالات طُرحت ولما تزل على غرار إشكالية المصطلح والمفهوم، وإشكالية القبول والرفض، وقضايا الخصوصية والاختلاف، وغيرها، وبعد توالي الإنجازات الإبداعية للكاتبة العربية، نجد أنفسنا اليوم أمام إبداع نسوي مختلف عن خط البدايات، فبعد أن اختزلت الكاتبة العربية نفسها في جسدها، وراحت تسرد ذاتها، وفي أغلب الأحيان بصوت الأنثى، نجدها على مدار العقدين الأخيرين تطل إطلالة مختلفة، وتخرج من سجن ذاتها وجسدها، وتعلي أصواتا غير صوته، تخرج للعالم بكل ما يحتويه من قضايا شائكة وغائرة، فتعانقها عناق الوعي، وتحكيها حكي الملم الكاشف الفاحص، حيث تناولت قضية حب الوطن والتمسك بالأرض، والفقر، والبؤس الإنساني، والقضايا الدينية، وقضايا البيئة، والتغيرات المناخية، وألفينا أنفسنا أمام كتابة سردية لا تعرف حدودا أو تخوما، ولا صعبا أو مستحيلا، فلماذا إذن تخلت الكاتبة عن سرد جسدها؟ وما تروم من سرد القضايا العالمية؟ هل هو نضج الوعي أم لاعتبارات أخرى؟ وهل سيؤثر هذا التوجه الجديد على مكانة الكتابة النسوية لدى المتلقي؟ هل يمكن أن يكون هذا التوجه بداية نحو هيمنة أنثوية على الكتابة السردية؟

الكلمات المفتاحية: الكاتبة العربية-رهان الجسد-القضايا العالمية-الخطاب الذكوري-الوعي الأنثوي

Abstract:

The Arab woman's writing has evolved significantly over six decades amid mixed critical reception and debates about terminology, acceptance, and specificity. Previously focused on bodily and self-narration in first-person voice, the Arab woman writer has fundamentally shifted in the last twenty years. Currently, she amplifies voice beyond her own,

* المؤلف المرسل: د. صياد مليكة

consciously engaging complex global issues, with an experienced observer's insight. Consequently, this narrative writing recognizes no boundaries, limits, or impossibilities. Why, then, did the writer abandon narrating her body? What does she aim to achieve by addressing global issues? Is this a maturation of consciousness or due to other considerations? Will this new trend affect the status of feministic writing among its audience? Could this trend mark the beginning of a feministic dominance over narrative writing?

Keywords: Arab Woman Writer - Bodily Preoccupation - Global Issues - Male Discourse - Female Consciousness .

. مقدمة:

درجنا على أن أيّ ظاهرة جديدة مهما كان مجالها وتخصصها، تُجابه بنوع من القلق والخوف والتردد والترقب، ولم نتعود على أن يُقابل الجديد بالترحيب والقبول مباشرة، فكل جديد يستلزم فترة معينة -تطول أو تقصر- حتى يُقبل ويُعتدّ به.

هي حالة النظريات الجديدة، والأفكار الجديدة، والمصطلحات الجديدة التي تحتاج وقتاً لضبطها وضبط مفهومها، لكن ما لم نتعود عليه هو أن تبقى ظاهرة ما محاطة بحالة الخوف والترقب وعدم ضبط مصطلحاتها ومفهوماتها حتى بعد فترة زمنية كافية، وهو حال الكتابة النسوية اليوم، التي رغم فرض وجودها وإثبات ذاتها والتأكيد على كيانها الذي يُرسّخ أركانها وقوائمها يوماً بعد يوم، ورغم مرور فترة زمنية تتجاوز الستة عقود على الازدهار وليس الميلاذ، فإنها مازالت تترجح تحت نير عدة إشكاليات، وما زالت تستجدي عدة شرعيات، كشرعية المصطلح وشرعية الوجود.

فإذا كانت الظواهر الجديدة تعاني من مشكلة ضبط المصطلح أحياناً، ومن مشكلة ضبط المفهوم أحياناً أخرى، فإن الكتابة النسوية عانت من كل أنواع الاضطهاد الفكري -إن صح التعبير- بدءاً بالمصطلح فالمفهوم فالقبول والرفض، فالخصوصية والاختلاف، وكلها إشكالات أسالت ما أسالت من المداد لكن دون جدوى؛ فالكتابة النسوية وإلى غاية كتابة هذه السطور لم تخرج من شرنقة الاختلاف. ورغم أن البعض يُعَدّ هذه الاختلافات ظاهرة صحية إلا أن الحقيقة خلاف ذلك، حيث إن هذه الكثرة قد أحادت الأقلام عن الجوهر واللب، وإن التأخر في وضع حدود لهذه الاختلافات، عتَم الرؤية أكثر، وعمّق اللبس؛ فكثير من المدونات والإبداعات النسوية على اختلاف أجناسها لم تنل حظها من البحث والدراسة، ولم تنل حقها في الظهور والتجلي، لأن الباحثين والدارسين اشتغلوا ولما يزالوا حول أيّ التسميات أصلح، وأيّ المفهومات أنسب، ومن يقبل ومن يرفض إلى غير ذلك من الإشكالات التي صاحبت ظهور الكتابة النسوية.

وسنحاول أن نقف على أهم هذه الإشكالات من باب حصرها وتوضيح تداعياتها على الكتابة النسوية، دون البحث في المصطلح ولا في المفهوم، ولا في حقيقة الاختلاف والخصوصية، لأن ما يعيننا هو الاختلاف في حد ذاته.

يجب أن تحتوي مقدمة المقال على تمهيد مناسب للموضوع، ثم طرح لإشكالية البحث بالإضافة إلى تحديد أهداف البحث ومنهجيته.

1- الكتابة النسوية.. والإشكاليات المصاحبة:

1-1- الكتابة النسوية .. وإشكالية المصطلح:

ليس الغريب أن الكتابة النسوية عرفت الكثير من المصطلحات فذلك شأن كل مولود فكري جديد، الغريب أنها مازالت تتخبط في فوضى المصطلح الذي لم يعرف استقراراً إلى غاية اليوم: «ما تزال "الكتابة النسائية أو الأدب النسائي" مصطلحاً غير ثابت ولا مستقر بما يثيره من اعتراضات وما يسجل حوله من تحفظات»¹ ومازال يشيع دون ضبط ودون توحيد ودون اتفاق، وحتى دون وضوح ف: «مصطلح "الأدب النسائي" شديد العمومية وشديد الغموض، وهو من هذه التسميات الكثيرة التي تشيع بلا تدقيق، ولا يتفق اثنان على مضمونها، ولا يتفقان على معيار النظر فيها»² ومازالت آلة الاشتقاق تعمل عملها؛ إذ راحت المصطلحات تتوالد وتتناسل دون رقيب: «تنوع اشتقاق ألفاظه ودلالاتها بين: النسوي والنسائي، والأنثى والأنثوي، والمؤنث والتأنيث، والحريم، والجنس اللطيف والنواعم...»، وكان من نتائج ترويج هذه المصطلحات بين النقاد والأدباء أن ولّد إشكالية في استعمالها، فهي تحمل دلالة مغايرة عند كاتب ما لما هي عليه عند آخر»³ ومازال مصطلح "الأدب النسوي" إلى حد الآن يعاني من غياب الدراسات الجادة والمعمقة المبنية على أسس مرجعية، ولا أدل على ذلك من شيوع سبعة وعشرين (27) مصطلحاً، بالإضافة إلى العشرات من الصفات، أحصاها الباحثان "فتوح محمود" و"قردان الميلود" في مقالهما المعنون بـ "إشكالية ضبط المصطلح النسوي في الخطاب النقدي والأدبي العربي المعاصر" في الصفحة الثامنة عشر (ص 18) حيث عزيا كل تسمية لمستعملها ومؤيديها ومبديعيها.

فلماذا إذن لا تقوم الهيئات المعنية بالمصطلح على غرار المجامع اللغوية: مجمع اللغة العربية بالقاهرة، المجمع العلمي بدمشق، مجمع اللغة العربية بدمشق، مكتب تنسيق التعريب بالرباط، والبنوك الآلية للمصطلحات مثل (البنك الآلي السعودي للمصطلحات "باسم"، بنك المصطلحات بنك معربي LEXAR، وبنك مجمع اللغة العربية للمصطلحات بالأردن، وغيرها بوضع مصطلح مُوحّد لهذا الوافد الجديد مثله مثل غيره؟ وهم الذين عند ظهور أي فكرة جديدة يطفقون لعقد اجتماعات من أجلها ولا يتوقفون حتى يبلغون مرادهم، ويصلون إلى وضع مصطلح واحد متفق عليه، فلماذا إذن عندما تعلق الأمر بالكتابة النسوية تُرك الحبل على الغارب وفُتح الباب على مصراعيه لكل من يريد أن يضيف أو يقترح اسماً يناسبه هو من وجهة نظره؟ لماذا إلى غاية اليوم مازلنا نستعمل مصطلحات متعددة للدلالة على هذه الكتابة؟ هل الاتفاق حول مصطلح واحد أمر يعجز النقاد والدارسين؟: «إن جوهر المشكلة يكمن في العجز عن ضبط المصطلح والاتفاق على تسمية واحدة جامعة لكل الآراء، فما نجده في الساحة النقدية العربية يصيب المرء بالدوار»⁴ وهذه الكثرة قد أثرت سلباً على المهتمين بدراسة هذا المجال، يتفق "عصام واصل" مع "مفيد نجم": «الذي أرجع هذا التعدد والتشتت

والارتباك في المصطلح ومتعلقاته إلى عدم وجود "وعي نظري ومنهجي واضح ومتبلور"؛ لأن كثيراً ممن تطرقوا إلى ظاهرة الخطاب النسوي لم يعنوا كثيراً بدراسة المصطلحات ووضع قاعدة نظرية لهذه الحركة في الوطن العربي ومنهجتها، والخروج بخلاصة تبين ماهياتها وكيفية آلياتها وجمالياتها.⁵ إننا اليوم بحاجة أكثر من ذي قبل لضبط هذا المصطلح، فكثرة الإنجازات النسوية اليوم توجب ذلك، حتى نتفرغ لدراسة جوانب أخرى لهذه الظاهرة.

لا جرم أن ضبط المصطلح يؤتي أكله، ويوضح الأمور، ويزيل اللبس والغموض، وإنه لمن مسببات التعقيد وتشويش الرؤية أن نلغي نفس الفكرة تُدرّس كل مرة تحت اسم جديد ما يصيب القارئ بالدوران، ويدخله في حالة من التوهان، بل الأدهى من ذلك أن تجد نفسك أمام دراسات وبحوث تختلف حتى في القصد من التسمية أي فيما يعنيه هذا المصطلح، حيث انتقلت العدوى حتى إلى المفهوم.

1-2- الكتابة النسوية.. وإشكالية المفهوم

بالإضافة إلى تشتت الآراء واختلافها حول التسمية المناسبة لما تكتبه المرأة، كان هناك تشتت واختلاف آخر حول المفهوم المناسب: « يأخذ الحديث عن الأدب الذي تنتجه المرأة طابعا خلافيا؛ نظرا لعدم الاتفاق حول مفهوم موحد له.⁶ إذ لم يتم الاتفاق إلى حدّ هذه اللحظة حول ماهيته ومعناه، والاختلاف بين المفهومات بلغ أحيانا حدّ التناقض:» هذا المصطلح غالبا ما يتداول نقديا بمفاهيم مختلفة، تبلغ أحيانا درجة التناقض، مما يسيء لقيمة المصطلح، ويحول دون قيامه بوظيفته التواصلية والإجرائية على حد سواء.⁷ والغريب في الأمر أن معظم النقاد والدارسين راحوا فقط يجتهدون في وضع مفهومات تتواءم وتوجهاتهم وتتفق وزوايا نظريتهم، وكأن همّ كل واحد هو اقتراح تعريف جديد، في حين أن تعدد المفهومات وكثرتها قد صعب الأمر كثيرا، ووقف حجرة عثرة في طريق المهتمين بدراسة الكتابة النسوية سواء من المبتدئين أو الراسخين: « يصعب على الباحث إيجاد تعريف شاف واف لهذا المصطلح، لأنه يحمل دلالات متعددة ومفهوم ضبابي دفع بالنقاد إلى عدم الاتفاق حول مفهوم نقدي موحد.⁸ إذ كيف لفكرة غير واضحة المعالم، ولا جلية التحويم، ولا دقيقة المفهوم، ولا معلومة الحدّ، أن تُفهم وتُتضح ويتم الإلمام بها، أو الوقوف على ما أضافته وما أتت به وما تحتويه، وما تنطق به وما تضمّره.

إن وضع مفهوم واضح ودقيق لأي مصطلح ليس فضلة ولا من باب الترف العلمي، ولا إضافة يمكن الاستغناء عنها، إن ضبط المفهوم من شأنه أن يساهم في وضوح المقصود من الكتابة النسوية، فتتجلى بالتالي الكتابات المنضوية تحت لواء هذا المصطلح وهذا المفهوم، وتبتعد الكتابات التي ليست لها صلة، كما أن الدراسات التي خُصصت لبحث ماهية الكتابة النسوية والتي راحت كل مرة تضع مفهوما جديدا لو خُصصت لدراسة هذه الأخيرة دراسة عميقة وفاحصة، واهتمت بهذا المولود اهتمام كينونة ووجود، لأسهمت في تطورها، وزادت في نضجها. لكن أن تبقى الدراسات تدور في حلقة مفرغة باحثة في المفهومات الجديدة، التي تختلف باختلاف الباحثين، وأحيانا حتى لدى الباحث الواحد، فإن الدراسة ستحيد عن ضالتها، وللمرة الثانية يطرح السؤال نفسه: أهذه الدرجة كان هذا النوع من الكتابة عصيا عن الفهم

وضبط تعريفه من لدن المختصين؟ أهذه الدرجة لا يمكن الاتفاق حول مفهوم واحد؟ إن اختلاف المفهومات والتعريفات إنما ينبئ عن عدم وضوح الرؤيا، وعن غموض الفكرة، وإلا لاستطاع الباحثون احتواء هذه الكثرة -المشتتة للذهن- ولتمكنوا من وضع حدّ جامع مانع لهذا النوع من الكتابة.

إن هذا الاختلاف المستشري في التعريفات أعاق ولا زال وسيظل يعيق أيّ باحث يسعى للبحث في هذه الظاهرة؛ إذ كيف أتعلم وأستكنه وأحيط علما بموضوع مجهول الهوية عائم المفهوم.

إن عدم وضع حدّ لهذه الاختلافات سيظل يلقي بظلاله على الظاهرة وسيظل سببا في عدم تقدم الدراسات حولها، والاستفادة منها.

1-3- الكتابة النسوية.. وإشكالية القبول والرفض

لم تتخلص الكتابة النسوية من فوضى المصطلح حتى وقعت في متاهة المفهوم، ولم تتخلص من كليهما بعدُ حتى ألقت نفسها وقبل أن تضبط معالمها وتؤسس ركائزها تتجاذبها أطراف الصراع بين قابل لهذا الكائن، مُرحب به، تغمره الغبطة لرؤيته، وبين رافض منكر له، بلغ به الأمر حدّ الاستهجان: «إن الاعتراف بالوجود الحقيقي لما يسمى بـ (أدب نسوي) مازال يتأرجح بين القبول والرفض من طرف النقاد والأدباء»⁹ وانبرت الأفلام كالعادة تبذر مداد محبرتها، وتخصص الوقت الجم، والجهد العظيم في البحث في قضية شرعية هذا المولود الجديد: «وقد تعددت مواقف النقاد حول وجود الأدب النسائي، حيث تراوحت بين التأييد والمعارضة»¹⁰ ومرة أخرى يُنتهج السيناريو نفسه في معظم البحوث والدراسات؛ إذ بدل مساعدة هذا المولود الجديد على النمو والاعتناء به حتى يقوى صلبه، ويشتد عوده، راحت- الدراسات- تبحث في شرعيته من عدمها، في الوقت الذي كان فيه المولود قد ظهر وخرج للناس، وأصبح واقعا معاشا، لا سبيل للتوصل منه، أو تهميشه، أو طمسه مثلما طُمست إنجازات المرأة سابقا؛ لأن كل الظروف تغيرت، وعلى جميع الأصعدة: السياسية والاقتصادية والاجتماعية، والثقافية، والعلمية، وبالتالي فقضية رفضه لن تعيده أدراجة، وهذا السّجال الحاصل بين القابلين والرافضين أسهم فقط في تأزم الوضع.

وبدل أن تجدد الكتابة النسوية الجو الملائم للتطور والازدهار وجدت عراقيل وصعوبات ومن الجنسين. والسؤال يطرح نفسه للمرة الثالثة: ماذا جنينا من كثرة الدراسات التي انبرت تبحث في قضية شرعية الكتابة النسوية؟ هل منع الرافضون استمرار هذا الإبداع؟ طبعا لا، والمنجز الإبداعي النسوي وفي كل الأجناس يعرف تزايدا ملحوظا كما ونوعا، إذن ما الفائدة من تلك الدراسات التي سعت لرفض هذه الكتابة وتهميشها ورميها بالنقص، والضعف، والهلولة، والنظر إليها بعين النقص، وتتبع مثالبها ونقاط ضعفها، فحتى وإن كانت الإنجازات الأولى للمرأة ضعيفة أو غير ناضجة، أليس هذا هو حال البدايات؟!.

فكم من كاتبة ضيعت الوقت الثمين، والجهد العظيم في الدفاع عن كتاباتها وكأنها تدافع عن جرم ارتكبته، أو كأنها تريد أن تغسل عارا أتت به، وإلى غاية اليوم مازال هناك من يؤيد ولوج المرأة عالم الكتابة ومن ينكره ويرفضه، ومن يقبل وجود كتابة نسوية ومن يرفض، ومن يرى بأنها ظاهرة قابلة للاستمرار، ومن يرى بأنها طفرة وستزول مع الوقت.

1-4- الكتابة النسوية .. وإشكالية الخصوصية والاختلاف

عانت الكتابة النسوية بالإضافة إلى كل الإشكاليات السابقة من إشكالية أخرى تتعلق هذه المرة بقضية الخصوصية والاختلاف، ووجدت نفسها داخل معترك المقارنة بينها وبين كتابة الرجل، سؤال "تحديد" ظل لصيقا بهذا الأدب: «سؤال هوية متعدد صورها وتحليلاتها، وسؤال اختلاف يبقى مدار جدل نقدي بين من يقر بخصوصية إبداع المرأة الروائي وبين من ينفي وجود هذه الخصوصية بحجة أن الكتابة لا تعرف جنس مبدعها، فالرجل والمرأة سيان في العملية التي لا يجب إخضاعها لهذا التصنيف الجنسي. وإلى اليوم لم تفصل الساحة النقدية العربية في القضية، فهي تتأرجح بين مؤيد ومعارض»¹¹ ورغم أن هذا الإشكال بالذات لن يجد إجابة مقنعة إلا بدراسات تطبيقية على المنجزات السردية، إلا أنه غلب عليه الجانب التنظيري، وكالعادة راحت الآراء تتشتت وتختلف ليس بين من يرى وجود خصوصية وبين من يرى العكس، وبين من يثبت هذه الخصوصية، ومن يثبت عدم وجودها، فقط، بل بين من يدعو لوجوب وجود خصوصية وبين من يدعو الكاتبات لعدم التميز، وبين من يرى في هذه الخصوصية سمة تفوق وتمايز، وبين من يراها سمة ضعف وانحدار.

2- الكاتبة العربية .. ورهان الجسد

صحيح أن الكاتبة العربية عندما ولجت عالم الكتابة ركزت على ذاتها، وسمعت صوتها، وأسمعت، أصغت مطولا لروحها، لعقلها، لجسدها، ثم نقلت لنا تلك الحوارات التي درات بينها وبين نفسها، وقد كان هذا رد فعل طبيعي للهيمنة الذكورية التي كانت مفروضة عليها وعلى كل ما هو أنثوي.

ولأن النظام الذكوري قد طال سجنه للأنتى، وطال حصاره، وطال قيده. فعندما طالبت المرأة بالحرية لهج بها لسانها، ألح عليها، وأصر كل الإصرار على نيلها، وعندما تكلم-لسان المرأة- لم يهمه كيف، ولا ماذا قال، المهم عنده أنه تكلم: «المواضيع التي تناولتها المرأة في بداية خوضها لمجال الأدب: (وهي مواضيع تعكس هموم المرأة، ولا تتطرق كثيرا للهموم العامة أو الإنسانية أو الفكرية أو الفلسفية، ثم إنهما تعكس هذه الهموم من منظار سطحي يضع كل الحق على الرجل. هذا طبيعي.. إذ لا يجوز أن نطول إنسانا عانى من اضطهاد تاريخي أن يتحلى فوراً بوعي عميق يعكسه في الإبداع)»¹² ولذلك ستتكلم الكاتبة بداية دون مراعاة المحيط الخارجي؛ إنها الأسييرة التي خرجت للتو، فما يعينها الآن هو ذاتها فقط، ولا شيء غير ذاتها، تعوضها ما عانته من شقاء وحرمان ومنع، ولذلك جاءت البدايات الأولى لكتابات المرأة متمركزة حول المرأة/الذات/الجسد/الصوت/ : «من خلال النصوص الروائية النسوية، خاصة المغاربية منها، يثبت أن البوح والانغلاق على الذات ظاهرة جلية في الرواية النسوية التي تحسن الإصغاء إلى الجسد والذات.. وتبقى عملية السرد

نوازع ورغبات وهواجس تجعل نص المرأة مفتوحاً على الداخل في شبه دوائر حلزونية معتمدة على طاقة الذات التخيلية، يوطرها الجسد في بناء وتوطيد الجسور العنبرية بين الداخل والخارج.¹³ لا مناص إذن من أن تكون انطلاقة المرأة الفعلية في عالم الكتابة مشحونة برفض السجن الأبوي الذي فُرض عليها، وأن تقول لا تتبعها آلاف اللآلئ، بل ليس عيباً أن تدعو الكاتبة بنات جنسها أن يحذرن حذوها في رفض وشجب كل ما من شأنه تقزيمها وإهانتها ومعاملتها معاملة إنسان من الدرجة الثانية: «تعود بدايات تجريب المرأة العربية الكتابة الأدبية عامة والروائية منها خاصة في الأدب العربي الحديث والمعاصر إلى مطلع الخمسينات بظهور نصوص ليلي بعلبكي وكوليت خوري وغادة السمان وليمي عسيران وغيرهن من رائدات هذا النمط من الإبداع الأدبي، وهي نصوص مشحونة بالاحتجاج والرفض لوضع المرأة العربية المتخلف في مجتمعات تكرس سلطة الرجل وتستلب وجود المرأة وكيانها». ¹⁴ وبالتالي فعلينا ألا ننتظر ممن خرج من هكذا وضع أن يكتب خارج ذاته وهمومه ومعاناته.

هو أمر طبيعي أن تكون الأنا هي المركز والمحور في الكتابات الأولى للمرأة: «ثم إن هذه النزعة الذاتية التي تطبع كتابة المرأة تكشف عن العلاقة الوثيقة القائمة بين فعل الكتابة والهوية النسوية مما يفسر ظاهرة تضخم "الأنا" في الأدب النسائي إذ عن طريقها تسعى المرأة الكاتبة إلى إثبات وجودها». ¹⁵ وهو لا ينقص من قيمة إبداعها شيئاً مادام رهين البدايات، وليس وسماً دائماً، أو أبدياً.

ومن الأعمال التي تناولت الذات والجسد.

- رواية "برهان العسل" لسلوى النعيمي، ط 1، 2007م.
 - رواية "أصل الهوى" لحزامة الحباب، ط 1، 2007م.
 - رواية "اسم الغرام" لعلوية صبح، ط 1، 2009م.
 - رواية "تاء الخجل"، ط 1، 2003م، و رواية "اكتشاف الشهوة" ط 1، 2006م. لفضيلة الفاروق.
 - رواية "التشهي" لممدوح عالية، ط 1، 2007م.
- وغيرها كثير، ولا شك أن الكاتبة العربية كانت تحتاج وقتاً لتشفى من أعراض الأسر، لتشعر بأنها كائن مستقل وليس تابعا للذكر، وبحق لها أن تقول ما تشاء وكيف تشاء.

3-الكاتبة العربية.. والقضايا العالمية

لم تبق الكاتبة العربية أسيرة الجسد طويلاً، وخالفت كل التوقعات؛ تلك التي ظنت أنها لن تستطيع التحليق خارج محيط ذاتها، وستخونها اللغة والكلمات، تلك التي ظنت أنها ستفقد البوصلة، وتوه إن حاولت سرد موضوع آخر غير الذات والجسد، وحتى تلك التي توقعت نهايتها تماماً كالسمكة التي تموت إن غادرت البحر، تلك التي ظنت: «أن أدب المرأة لا يعكس سوى المشكلات الخاصة بالمرأة، وبمعنى آخر أنه يفتقر إلى النفس الطويل والقدرة الفنية، على

الإحاطة بقضايا العالم الواسع.¹⁶ وقد ربط "محمد برادة" بين بداية الكتابة النسائية والجسد، وأكد: «أن بداية الكتابة النسائية هي بداية استيحاء المرأة لجسدها والإفراج عن أحاسيسه المخبوءة.»¹⁷ وهناك من رأى أن المرأة لا تستطيع الكتابة إلا في الموضوعات التي تخصها، يذهب "جورج طرايشي" إلى: «أن العالم هو المركز في رواية الرجل، والذات هي المركز في رواية المرأة.»¹⁸ لكن الكاتبة العربية خيبت كل آمال هؤلاء؛ إذ سرعان ما ابتعدت عن الأنثا، وحلقت ملازمة كل ما يحدث في العالم دون استثناء، وهو ما أكدته الروائية كفى الزعي: «أن المرأة بعد ذلك تعدت تلك المرحلة وتوسعت رؤيتها وشغلت بأسئلة أخرى... بمعنى أنها صارت ترى العالم والعلاقات من منظار أعمق وأشمل.»¹⁹ وهذا ما أكدته الموضوعات المطروقة من قبل الساردة العربية، والتي سنتبين بعضاً منها فقط على سبيل المثال لا على سبيل الحصر.

3-1- الكاتبة العربية .. وقضية حب الوطن والتمسك بالأرض

لم تعد الهموم الفردية ومشاكل الذات وما يتصل بها بؤرة اهتمام الكاتبة العربية؛ ها هي ترى في الأرض والوطن كل شيء: «فأنا مرهونة بكل حواسي لما يجري في بلدي.»²⁰ ترى فيه الحياة والنعيم، والسكينة، والطمأنينة وتشارك مع أبناء وطنها هذه المحبة، وهذا التمسك: «مازالوا يتشبثون بديارهم. لقد صدّوا هجمات ودعوا إلى هدنة، راغبين فقط في العيش على أرضهم كما كانوا دائماً؛ فهم تحملوا الكثير من السادة-الرومان والبيزنطيين والصليبيين والعثمانيين والبريطانيين- حتى القومية كانت غير ذات أهمية مقارنة بالتعلق بالله والأرض والعائلة، كان هذا جوهر وجودهم، وهذا ما دافعوا عنه وسعوا إلى الاحتفاظ به.»²¹ إنه حب مشترك وهوية مشتركة.

وها هو الوطن يتحول إلى هاجس يؤرق ليل الكاتبة العربية، تثبت مرارا وتكرارا أنها تستطيع أن تحمل همه بجدارة، تتمنى ألا تحيد عنه، ومستعدة للتضحية من أجله؛ ففي أكثر من موقف، ولدى أكثر من كاتبة يصبح-الوطن-محور الاهتمام، وأحيانا على مدار العمل ككل، يكتسح بياضه، كما اكتسح وجدان الكاتبة وملاً فؤادها، وشغلها عن كل شيء سواه؛ هو مناط الحوار بين كل شخصيات العمل: الشخصية المقيمة فيه، أو التي تتمنى العودة إليه، أو التي تدفع نفسها ثمن حريته، أو التي لا تستطيع أن تستنشق هواء غير هوائه.

أعمال روائية برمتها من أول صفحة فيها إلى آخر صفحة مشحونة بوجع الفلسطينيين على أرضهم: «لم أكن أعرف كل التفاصيل، ماذا حدث في حيفا يوم كذا، وكم قتل راح من برميل البارود الذي دحرجه المستوطنون على جبل الكرمل في شارع كذا، وأي قرية داهموا في الليل بيوتها وسكبوا الكيروسين على مؤونتها من طحين وعدس وزيت زيتون.»²² فقدان الأهل، نقص المؤونة وانعدامها أحيانا، والخوف الذي أصبح رفيقهم الدائم ويأبى مغادرتهم، سقوط المدن المتوالي، مدينة تلو الأخرى، سردته الكاتبة العربية بوعي كبير لما تعنيه المدن، قطع من الأرض، الأرض التي لا يمكن لأهلها الاستغناء عنها، الأرض هي الحب الذي يرثه الأبناء عن الآباء، إنهم يولدون وحب الأرض يسري في دمهم: «سقطت القسما واستشهد عبد القادر وهو يدافع عنها، وفي فجر اليوم التالي هاجموا دير ياسين المجاورة للقسطل وذبحوا من ذبحوا ممن أهلها، بعد ثلاثة أيام سقطت صفد، وثلاثة أيام أخرى وسقطت يافا، وبعد سقوط يافا بثلاثة أيام سقطت

عكا.²³ أجادت الكاتبة الحديث عن الأرض؛ تجعل القارئ يتمسك بخيوط السرد، يُقبل عليها بنهم، وتجعله يستشعر أهمية هذه القطعة في حياة الأفراد، فهي تعني لهم حياة كاملة، تُرسخ هذه الحبة في الذاكرة الحية، وتثبت قدرتها على سرد كبرى القضايا: الأرض والوطن.

ها هو إذن الوطن يتربع على عرش اهتمام الكاتبة العربية، يصبح بؤرة السرد، ومن أجله يولد هذا الأخير، فلو لم يشغل بالها لما كتبت من أجله العمل تلو الآخر، تتمنى له الخير، وتُضحى من أجله، وتغرس حبه في قلوب الأجيال القادمة، تجعل منه الرسالة التي يجب ألا تضيع، والتي يجب أن تظل بين الجوانح إلى الأبد.

3-2 الكاتبة العربية .. وقضية البيئة وتغير المناخ

نتم سرديات المرأة العربية مؤخرًا عن وعي منقطع النظير بقضايا العصر ومشكلات الراهن، لا سيما تلك التي تعاني منها كل الدول وباتت هاجسًا يقلق كل إنسان حيّ غيور على هذا الكون وعلى هذه الأرض على امتدادها، فقد استحوذت البيئة وتغير المناخ على اهتمام الكاتبة العربية؛ حيث تناولتها بأشكال مختلفة، وأساليب متنوعة، وطرقها من زوايا عدة، واستدعتها استدعاءً مميّزًا يشف عن وعي ناضج، وعقل راجح يعرف ماذا يطرق ومتى ولماذا، تراوح هذا الاستدعاء من شخصية رئيسية إلى عنصر فاعل في السرد، إلى محور للنقاش بين الشخصيات، إلى مكان للأحداث... إلى غير ذلك، حتى في العناوين تحضر البيئة بمختلف عناصرها تحتال مزهوة بمحضور طاع يُرصد أغلفة الروايات ويزينها، وعلى سبيل الشاهد لا الحصر نذكر "سماء قرية من بيتنا" لشهلا العجيلي، و"حديقة حياة" للطيفة الدليمي، و"بقعة عمياء" لسميحة خريس، و"غواصو الأحقاف" لأمل فاران، و"أحلام البحر القديمة" لشعاع خليفة، وغيرها كثير، وامتد الاستدعاء - إلى المتون التي عجت بالقضايا الشائكة التي تُطرح بخصوص البيئة وتغير المناخ.

البيئة بكافة عناصرها: أشجارها وحيواناتها ونباتاتها، المناخ وتغيراته: الأمطار والجفاف والحرّ والقرّ، وأزمات الجراد والرياح، والطوفان والاحتباس الحراري، كل ذلك أخذ حيزًا من اهتمام الكاتبة العربية، حيزًا كافيًا بالوقوف عنده للبحث والمداولة.

ها هي "لطيفة الدليمي" في روايتها "حديقة حياة" تبدي اهتمامها بالطبيعة من الوهلة الأولى، فالعنوان وهو أول ما يطالع القارئ، وأول ما تقع عليه عيناه، ويجذب اهتمامه، يقرن بين الحديقة واسم بطلة الرواية "حياة"، مما يعني أن هذه الحديقة تعني الكثير لهذه البطلة، بيد أن الذي يغوص في أعماق السطور يعي أنها تعني كذلك حتى للكاتبة.

"حياة" تهتم بحديقته مثلما تهتم بابنتها الوحيدة "ميساء" فهي بالنسبة لها كائن حيّ يستحق العناية والاهتمام ليواصل حياته، فهي تحاور نباتات حديقته، تناجيهم، تحكي لهم فيصغون، ويحكون لها فتصغي: «وفي هذا الانسحار الذي يملكها إزاء الطبيعة وهذه الصلة التي تشدها إلى عمق الأشياء الحية تتمم بشيء هو كالصلاة، تمجد هذا الفيض السماوي المتدفق ما بين روح الإنسان والحيوات الأخرى.. تهمس بلغة تستجيب لها النبتة ويدركها البرعم ويحسها

الطائر.»²⁴ الحديقة هي كائن حيّ يؤثر ويتأثر؛ كلما اعتنيت به أكثر منحك أكثر، وكلما أهملته أهملك، تتعهدا "حياة" بالسقي والتسميد وتنقيتها من الحشائش الضارة، وتمنحها الحديقة ظلاً وارفاً، وهواء نقياً، وشذا طيباً، ومنظراً أخاذاً يريح النفس، هي المتعبة من قساوة الدنيا وفقدان الزوج "غالب الغائب" وتحمل المسؤولية في غيابها مسؤولية ابنتها "ميساء": «تلقي حياة قفازيها وتترك الأصوص التي مزجت فيها التراب بالسماذ ونثرت فيها بذور الأقحوان الأصفر وورد الفضة والسنطوريا الزرقاء... وتهرع إلى ضيفتها.»²⁵ ضيفتها سوزان التي جاءت لتشكو لها سوء حظها، وفشلها في تسيير حياتها، لتخبرها "حياة" أن سرّ النجاح في هذه الدنيا هو عدم الاستسلام لليأس، حب الحياة بكل مكوناتها، تضرب لها مثلاً بحديقته الصغيرة التي لا تقارن بحديقة سوزان الكبيرة، ومع ذلك تحبها كأنها جزء منها: «أنت تمزحين... ماذا تفعل شجرتان عتيقتان وأعشاب وبعض شجيرات زهور...؟ ماذا تقدم لك هذه الأشياء... مؤكداً أنك تمزحين...؟»

- لا أمزح... إنها الحقيقة، لا تحكمي على ظواهر الأشياء.. هذه العشبة عالم حيّ لا يقل حياة وأسراراً عنك وعني... وكل ما هو حيّ هنا ينتمي إليّ وأنتمي إليه،... نحن أجزاء من كون عظيم،.. كل ذرة تراب وكل جسد كون كامل بذاته. هذه الزهرة تكون بي وأكون بها.»²⁶ علّمت صديقته كيف تحب كل العوالم الحيّة، كيف تشارك مع غيرها من الأحياء هذه الحياة إنه سرّ الاستمرار والديمومة، إنه سرّ القوة على مجابهة الظروف والنوازل.

حتى بالنسبة لـ"غالب" كانت الحديقة محور اهتمام. فبالنسبة له هي جزء من هذا الكون ولا يمكن الاستغناء عنها، المبدأ الذي طالما غرسه في ابنته "ميساء"؛ يُعلمها أن الإنسان يجب أن يأخذ من هذه الطبيعة احتياجاته فقط، أن لا يسرف ولا يأخذ الطمع والجشع، يعلمها العدل والإنصاف في الاستفادة من هذه الطبيعة لأنها ملك الجميع: «لا.. أنت حصلت على نصيبك من هذه الشجرة.. وما تبقى من التين رزق العصافير والحمام... العيش ممكن للجميع إذا عرف كل إنسان حدود كفايته ولم يأخذ ما يزيد عن حاجة العيش.»²⁷ ولأن الجشع والطمع يضرّان بها ويضرّ الآخرين الذين هم أيضاً بحاجة إلى خيارات هذه الطبيعة.

تأسف "حياة" على هذا الجيل الذي لا يعرف الاستمتاع بالطبيعة وكل ما تجود به بسخاء: «الدنيا عزلتهم عن شذا الأقحوان وألوان زهرة المنثور وعطر أزهار العسل في حدائق الليل، ما عاد أحد من هذا الجيل يرى شيئاً من روائع خلق الله في الطبيعة لا أحد منهم يلمس غصن ليمون وتصعقه الدهشة من نعومة الخضرة الياقة.»²⁸ هذا الجيل الذي تلهمه مشاغل الحياة الكثيرة عن الاستمتاع بالطبيعة ورثت في نفسه لا مبالاة، جرّت وراءها لا مبالاة أخرى امتدت لعدم المحافظة على الطبيعة.

لكن ابنتها "ميساء" أيضاً تعرف قيمة هذه الطبيعة، رأت أمها كيف تمنحها سرّ البقاء انطلاقاً من حديقة تتربع على بضعة أمتار: «أراقبها.. وهي تشكل نهارنا من قبضة تراب في الحديقة وحبوب قمح، من حزمة عشب ونسغ شجرة... تمزج شذا الزهرة المتفتحة مع رحيق ثمرة وورقة يانعة وتقدم لي وجبة البقاء.»²⁹ البذرة مثل الإنسان تماماً تحمل حياتها داخلها، وتتحدى كل الظروف المحيطة، لتخرج إلى الحياة معلنة ميلاداً جديداً متى ما سنحت أول فرصة: «إذن،

البذرة ولدت ليس في أعماقها هي، إنما في رحابة الوجود على شجيرة ورد كادت أن تحف، تولد الحياة على مسافة دهر هو الزمن الذي يفصل بين تخلق الإنسان في تحولاته ونمو النبتة في الطبيعة رغم قساوة الوجود.³⁰ التمسك بالحياة رغم قساوة الظروف، هذا ما يجب أن يسعى إليه الإنسان.

رسائل عدّة ودّت الكاتبة "لطيفة الدليمي" تمريرها إلى القارئ. رواية "حديقة حياة" شاهد حيّ على الوعي الكبير لدى الكاتبة-بأهمية الطبيعة وأهمية الحفاظ عليها والاعتناء بها لتستمرّ في الحياة وتستمرّ في العطاء فنحن بحاجة إليها تمام كحاجتها هي إلينا.

تنجح الكاتبة في جعل القارئ يحب حديقته، ويسعد لاخضرارها ونضارتها، جعلته يتمنى أن يمتلك واحدة مثلها ليعاملها مثلما علمته "حياة" معاملتها: (الزراعة والتسميد والسقي والإقبال على خدمتها بحماس وشغف) عادات صحية أقنعت بها "لطيفة الدليمي" قراء روايتها.

ووفق قالب مختلف هذه المرّة، وفي إطار من "السخرية"، تمرر الكاتبة "سميحة خريس" على لسان بطلتها رسالتها البليغة في عبارات قليلة مكثفة المعنى؛ ففي خضمّ بأسها من فقرها وحالتها الاجتماعية المزرية التي لم تمكنها من اقتناء سيارة، تقول أن السيارة مصدر تهديد للبيئة: «لا يوجعني عدم اقتناء سيارة، في كل الأحوال تمثل السيارة مصدر تهديد للبيئة، وعبئاً لا أحتمل تكاليفه، أسير وزوجي ربحي وأبنائي، حتى البنت الضريّة، مشياً على الأقدام إلى أعمالنا ومدارسهم وأهدافنا القريبة، نكتسب الصحة واللياقة البدنية متمتعين بنفحات الأكسجين الوفيرة في هواء الصباح، متزودين بفيتامين (د) وكالسيوم الطبيعة ظهراً، متفادين أمراض البدانة، مكتسبات لا تحسب عادة، أستحضرها بزهو وكبر لتعيني على الاحتمال لكل معاناة فائدة، ولكل رفاهية ضريبة.»³¹ في إشارة تلميحية ذكية تنبئ عن وعيها بالأزمة التي يمر بها العالم؛ فالسيارات عامل من أهم العوامل المساهمة في تلوث الجو، وخنق رئاته، ها هي تمرر رسالة قوية بأن كثرة المصانع وكثرة السيارات بقدر ما أنها نعمة إلا أن لها أضرارها، ولا بد من البحث عن بدائل كالسيارات الصديقة للبيئة.

ينمو الوعي أكثر وينضج، ويصل إلى مستويات عالية لدى الكاتبة "شهلا العجيلي" التي استحضرت أزمة المناخ وتلوث البيئة بعيداً عن أسلوب التلميح ولغة الإشارات، واختارت التصريح والعلانية والوضوح؛ حيث جعلت بطل روايتها "سماء قرية من بيتنا" خبيراً في المناخ والجفاف، وأطلقت عليه اسم "ناصر العامري"، لتثبت أن هذه الأزمة الراهنة تشغل بالها، وتحتل حيزاً من تفكيرها، يؤلمها ما آل إليه وضع البيئة في كل أنحاء العالم (الجفاف، القحط، الاحتباس الحراري، ذوبان الجليد، انتشار الأمراض والأوبئة، التوسع العمراني على حساب الغطاء الأخضر).

نلفي بطلّة الرواية "جمان بدران" التي هي دكتورة في الأنثروبولوجيا الثقافية عندما حضرت مؤتمراً في الجمعية الأردنية للبحث العلمي توزعت أعماله على عدة محاور: الاقتصاد والتعليم والصحة، تختار محور التغير المناخي في الوقت الذي ذهب فيه الناس إلى الاقتصاد والتعليم- ليس اختياراً مجانياً طبعاً- إنه بإيعاز من الكاتبة: «لذا اخترت محور التغير

المناخي، في حين مضى الناس إلى الاقتصاد والتعليم. كانت المحاضرة الأولى للبروفيسور الهندي مانا سيف كومار، وبناء عليها قرّرت متابعة الأوراق كلّها، من العاشرة صباحاً حتى الرابعة عصراً.³² تقول "جمان بدران" لقد أعجبت بكل ما قاله لدرجة أنني حضرت كل الأوراق الممتدة طيلة النهار من الصباح إلى المساء.

وحتى بعد انتهاء المحاضرات دعت الدكتور "سيفا كومار" إلى الفطور، أعجبتها محاضراته وما احتوته من نصائح قيمة للتعامل مع البيئة: «أعجبت جداً بورقة الدكتور سيف كومار عن الأخطاء الصغيرة التي نرتكبها كل يوم بحق المناخ، من غير وعي أو مراقبة ذاتية، لتصير بالتراكم كوارث طبيعية.»³³ حيث إن هناك مشاكل كان يمكن تفاديها بقليل من الوعي والانتباه، في إشارة واضحة إلى ضرورة تثقيف الإنسان نفسه في مجال البيئة وكيفية الحفاظ عليها، وكذا دور الهيئات المسؤولة عن حماية البيئة في نشر هذا الوعي من خلال عقد الندوات والمؤتمرات وتدعيمها بالمنشورات: «حدثني سيف كومار عن أن مشكلات التغير المناخي تبدأ من عند تخصصي، لا من عند تخصصه هو، أي بالثقافة وليس بالجغرافيا العامة، بتغيير عقلية الناس في التعامل مع مواردهم، والتصدي لمشكلاتهم، لا بإرسال رسائل سرّية إلى الغيوم والرياح والأمواج.»³⁴ فالوعي والتغيير يبدأ على مستوى الفرد، ثم الجماعة.

حتى زوجة "ناصر العامري" الخبير الدولي في المناخ اختارتها "شهلا العجيلي" باحثة في علم الحيوان بالذات السلاحف وكيفية الحفاظ عليها من الانقراض، ف"كورين" هي الأخرى حاورت زوجها حوارات مطولة ومسهبّة عن أهمية دراسة الطبيعة وتغيرات المناخ، وكيفية حماية الحيوانات والنباتات المهددة بالانقراض: «أنا قضيت أيامي غارقة في عالم مخلوقات عجيبة، ألاحقها من شاطئ إلى شاطئ لأحميها من الانقراض، وذابت عينايا بين حروف المراجع لأتمكن من الإحاطة بعالمها، وكلما وصلت إلى حقيقة امتدت أمامي حقائق أخرى قصية، ونسيت أن الطبيعة، مهما فعلت، أقوى مني، لها وحدها أن تبقي على السلاحف أو أن تبيدها، رغبتني لن تقف أمامها ولا علمي.»³⁵ ترويض الطبيعة صعب، والإحاطة بأسرارها مستحيل، لكن لا بد من بذل المزيد من الجهود. كل ما اقترب منها الإنسان أكثر وفهمها أكثر كلما استطاع أن يستفيد منها ويتقي بعض ظواهرها كالزلازل، والبراكين، والفيضانات، وغيرها: «وأنت يا ناصر، قضيت عمرك تراقب حركة الرياح، وتنتظر الغيوم، وتتساءل إذا ما كانت حبلتي أم عاقر، لكنك رغم تكنولوجيا المعرفة التي تخصصت فيها، لا تستطيع أن تُحمّلها أو تستولدها، ولا أن تأتي بها من الغرب إن أقبلت من الشرق. تراقب فحسب، وتدون ملاحظتك، وتقيس عليها. أقصى ما تستطيع فعله هو إنذارنا من عاصفة محتملة، فتكس في المطارات.»³⁶ لكن هذا وحده ليس كافياً، يجب أن ينتشر الوعي، ويفهم الناس كيفية التعامل مع موارد طبيعتهم، ثقافة الاستهلاك، وثقافة التشجير، وثقافة الاعتناء كلها أمور تستوجب إعادة النظر فيها: «تقول إنك تحمي الناس من المرض والموت والشح، وتنسى أن ما تفعله في سنوات ينسفه أحدهم في يوم، في حريق، في تجربة كيميائية.»³⁷ فبدون وجود بشر واعون لن تفيد الدراسات في شيء.

وهنا كانت رسالة الكاتبة واضحة فالعلم والبحث والتنظير لن يجدي نفعا في ظل عوز التطبيق وغياب الوعي ودون تكاثف جهود الجميع، فالجميع يعيش في البيئة و الجميع معنيّ بالحفاظ عليها، هي ليست مسؤولية شخص واحد بل مسؤولية كل من يعيش في هذا الكون: «أفضل طريقة من أجل الانتماء إلى مكان ما، هي محاولتنا الحثيثة للتأثير فيه، لتغييره نحو الأفضل، يمكننا أن نبدأ بتغيير حياة شخص واحد فحسب، ينطبق هذا على التغيير الإيجابي والسلبي على حد سواء، تغيير عنصر من عناصر البيئة يؤثر في التوازن الكلي: التشجير مثلا، وزيادة المساحات الخضراء، يزيد من فرص سقوط الأمطار، فيزيد في منسوب المياه في المسطحات، ترتوي الكائنات، وتعيش... يجب أن يكون لدينا المهارات لفعل التغيير.»³⁸ إنه الوعي المضاعف؛ وعي الكاتبة بمشكلة البيئة والمناخ، ووعيتها بدور الأدب كمؤثر حي لا يموت، وكُمخاطب للذات، ومُغير للذهنيات، هذا ما جعلها تطرق الموضوع عن طريق شخصيات رئيسة اختارتها عمدا من داخل التخصص.

3-3-الكاتبة العربية.. وقضية الفقر والبؤس الإنساني

عرّجت الكاتبة العربية أيضا على قضية البؤس والفقر والفروق الطبقيّة بين المجتمعات الإنسانية، وهي الظاهرة التي لا يكاد يخلو منها مجتمع ما، عاشت بين الفقراء، سبرت أغوار نفسياتهم، شعرت باحتياجاتهم، تشربت مآسيهم، أحسّت آلامهم وأوجاعهم: «قلت لها أنني اعتدت على الجوع، وإن أياما كثيرة كانت تمر بي في أثناء السنوات الماضية، وأنا في عمان، لم يكن يدخل في أحشائي أي طعام.»³⁹ أطفالا شبابا شيوخا وعجائزا، فالفقر لا يفرق بين كبير وصغير وقوي وضعيف، بل إنه يؤثر في كل من ينشأ فيه أظافره، يثد الأحلام مبكرا، يطيل الليالي ويُصعب الأيام، يدفع إلى اليأس والقهر: «كنت انفق جزءا من النقود القليلة التي أتقاضاها، على الكتب، وفي أحيان قليلة، حينما يستبد بي اليأس، أبح لنفسي شرب الخمرة الرخيصة، ثم أمضي كثيرا من الأيام جائعا إلى أن أجد من يعطف عليّ ويسلفني النقود، فراحت الديون تتراكم عليّ.»⁴⁰ الفقر يسبب عدة مشاكل اجتماعية ونفسية للفرد، لا يسمح له بمواصلة دراسته، ولا أن يتزوج ويؤسس أسرة، يجعله يشعر بأنه عالة على مجتمعه وعلى العالم.

وأيا كان سبب الفقر (الظروف الاجتماعية للشخص، أو الظروف الاقتصادية العامة، أو لأسباب أخرى) يظل الفقر موجودا وتزيد وطأته بوجود الغني الذي يعيش رفاهيته أمام ناظري الفقير وعلى مرمى أسماعه.

ظاهرة الفقر توجد في كل المجتمعات وفي كل دول العالم، ورغم أنه تعاني منها فئات محددة، إلا أنهم يشكلون شريحة من المجتمع، هم بشر مثلهم مثل الأغنياء لهم أحلامهم وأهدافهم وطموحاتهم التي يحول فقرهم دون تحقيقها، لذلك صورت الكاتبة معاناة هذه الشريحة: «على مقربة من محل النظارات الفاخر الذي تبدو منه المرأة الثرية وكأنها في زجاجة، تقف المرأة الأخرى على الرصيف وترفع جسدها القصير النحيل على أطراف الأصابع التي تطل من صندل صيفي مهترئ

تنتعله، تمط جذعها ثم تميله وينحني رأسها في حين تغيب ذراعها في قلب حاوية القمامة عند طرف الشارع.⁴¹ يقتاتون على الفضلات، لا يملكون قوت يومهم، لدرجة أنهم يبحثون في حاويات القمامة.

الفقر والغنى ظواهر تؤدي إلى تقسيم المجتمع إلى طبقات، فتصبح هناك طبقة غنية، وأخرى متوسطة، وأخرى غنية، حيث تشعر الطبقة الفقيرة دائماً بأنها أقل شأنًا: «اكتشافي الطبقي ليس جديداً جداً، أعرفه منذ وطلت قدماي الشميسياني، ولكنه يتعزز كل يوم.»⁴² ومشكلة الفقراء اليوم أن شعورهم بالفقر يتفاقم يوماً بعد يوم، بسبب طغيان الظواهر المادية، وغلبة المظاهر على إنسان هذا العصر، والتوجه نحو تشيء الإنسان.

في مجتمعات تحكمها المادة يتحول الفقر إلى وحش مفترس، يجعل من أيام الفقراء كابوساً طويلاً المدى، يتمنى الفقير أن يتخلص منه لكن دون جدوى، يظل جاثماً على صدره: «الفقر نفسه يستدعي النسيان ويهبه سلطة تجعله سيّداً، ينسينا خطايانا ويغفر لنا زلاتنا، ويصرفنا إلى الدفاع عن أنفسنا أمام فمه الفاجر الذي يهدد بابتلاعنا. وأنا في سنواتي الأخيرة مع عمل لا يجدي كان عليّ أن أنسى، ولكني لا أتمكن من الإشاحة بوجهي عن فقري كما تشيخ الحياة بوجهها عني.»⁴³ تطرق الكاتبة العربية القضية بحثاً عن ذوات غير ذاتها، بحثاً عن بقع أخرى في العالم غير البقعة التي تعيش فيها إيماناً منها بأنها جزء من هذا العالم، وبأن الأدب يمكنه أن يحدث بعض التغيير.

قضايا عديدة إذن تناولتها الكاتبة العربية، أرخت فيها لزمان عاصرتها، وعاشت أحداثها، كتبت عنها لأنها تعي جيداً مكانها في هذا العالم، كتبت عن حب الوطن والتمسك بالأرض، عن الفقر؛ عن الشرائع التي تعاني التهميش، وعن الحداثة وتغيرات المجتمع، عن المناخ وتغيراته، وأزماته، وغيرها كثير - قد تضيق بذكره هاته الورقة البحثية - وهذا دليل قاطع على أن الكاتبة العربية قد اختلف إبداعها ومنجزها عن خط البدايات: «لم تعد الساردات العربيات في هذه المرحلة تنظرن إلى العالم الخارجي النظرة عينها التي انطلقن منها حيث تكونت لديهن القناعة التامة بأن حضور أقلامهن قوّض الرجعية بمختلف أفكارها حين تساءلن عن موقعة فكرية أعلى من مسألة البحث عن الوجود التي أسست لثورتهن... ويمثل ابتعاد المرأة عن جسدها في تناول الأدبي جزء من هذه المرحلة.»⁴⁴ هكذا إذن تثبت المرأة لكل من يقرأ منجزها، أنها تحررت تماماً من أسر الجسد، وسجن الذات، وحلّقت بعيداً في سماء العالم، ونظرت بعين الخبير الحصيف العاقل والواعي لكل القضايا الراهنة التي تستحق الوقوف عندها ملياً: «(الأدب النسوي) المفترض هو أدب تكتبه المرأة أولاً وتتأثر - عادة - رؤاه وأساليبه بالفارق "الجنوسي" بينها وبين الرجل وتحكمه رؤية المرأة للعالم، وكلما حلّق النص في سماوات إنسانية قصية. كلما تضاعف الفارق وتقلصت خصوصيته الجنوسية ولم يبق من نسويته سوى نسبته التأليفية للمرأة.»⁴⁵ بطرقها موضوعات مختلفة ومتعددة، تثبت المرأة لنفسها وللقرّاء وللباحثين بأنه لم يعد يهمها ذاتها، ولم تعد تدخل في صراعات مع الآخر /الذكر، بل أصبح ما يحدث في العالم محور اهتمامها، لم تجد صعوبات ولم تعجز عن تناول كل ما يحدث في العالم؛ والدليل الكم المنجز في العقدين الأخيرين؛ حيث يندر العثور على رواية نسوية بعيدة عن ما يطرحه الراهن.

4- النتائج

- الإشكاليات التي صاحبت ظهور الكتابة النسوية وإن أضاءت جوانبا من هذه الأخيرة إلا أن عدم الفصل فيها وعدم حسم الاختلافات الواقعة أرق كاهل الباحثين والدارسين.
- التوقع المفصليّ اليوم للمدونة النسوية العربية المعاصرة وانزياحها عن خط البدايات، يحتاج إلى دراسة معمقة لبحث هذا الانزياح ومآلاته.
- الخروج من سجن الذات، والتحرر من المقارنة بالآخر/الذكر في الكتابة السردية يؤكد ميلاد كائن مستقل لا يسعى إلى التشبه بالكتابة الذكورية، ولا إلى التميز عنها، إنه مولود يخطّ حدود عالمه ككينونة فريدة استحقت الظهور وقادرة على البقاء.
- المنجز السردى النسوي العربي المعاصر أثبت بما لا يدع مجالا للشك أن الكاتبة العربية تستطيع طرق القضايا العالمية، وأن سرديات الجسد ارتبطت ببدايات مسيرتها فقط، وأن الوعي الفني للكاتبة يثبت نضجه يوما بعد يوم.

خاتمة:

الكتابة النسوية؛ الظاهرة التي وُلدت ووُلد معها ألف سؤال وسؤال، فرغم ما كُتِب فيها من بحوث ودراسات، وقيل فيها من آراء ونظريات، وعُقد من أجلها من ندوات وملتقيات، إلا أنها ما زالت بحاجة إلى المزيد من الفحص والبحث والدراسة، زوايا عديدة مازالت بحاجة للإضاءة والتنوير، ونقاط كثيرة مازالت بحاجة إلى توضيح وتفسير، وإن كانت الكاتبة العربية لم تقل كل ما في جعبتها، فحتى الباحثين والدارسين لمدونتها مازال في جعبتهم الكثير.

الهوامش

- ¹ معمري، أحلام، إشكالية الأدب النسوي بين المصطلح واللغة، مجلة مقاليد، مخبر النقد ومصطلحاته، كلية الآداب واللغات، جامعة قاصدي مرباح، ورقلة، الجزائر، العدد 02، ديسمبر 2011، ص 48.
- ² سعيد، خالدة، المرأة التحرر الإبداع، نشر الفنك، الدار البيضاء، د ط، المغرب، 1991م، ص 85.
- ³ الشيخ، عمر، مفارقة المصطلح وجذره النقدي.. كيف يؤثر على ذائقة القارئ، جريدة النهضة، سورية، العدد 619، الاثنين 10 حزيران 2013م، ص 09.
- ⁴ خضار، سماحية، الأدب النسوي: إشكالية مصطلح... أدب بين الاعتراف والرفض، مجلة (لغة-كلام) مختبر اللغة والتواصل، المركز الجامعي، غليزان، الجزائر، العدد 08، جانفي 2019م، ص 64.
- ⁵ واصل، عصام، الرواية النسوية العربية مساءلة الأنساق وتقويض المركزية، دار كنوز المعرفة للنشر والتوزيع، ط 1، عمان، الأردن، 2018م، ص 26.
- ⁶ غربي، ويزة، الأدب النسوي وقلق المصطلح، جريدة صوت الأحرار، الجزائر، السنة 18، العدد 5876، يوم الاثنين 15 ماي 2017م، ص 16.

- ⁷ فتوح، محمود، وقردان، المبلود، إشكالية ضبط مصطلح الأدب النسوي في الخطاب النقدي والأدبي العربي المعاصر، مجلة مهد اللغات، كلية اللغات الأجنبية، جامعة حسيبة بن بوعلي، الشلف، الجزائر، المجلد 02، العدد 01، 2020م، ص 13.
- ⁸ المرجع نفسه، ص 10.
- ⁹ خضار، سماحية، الأدب النسوي : إشكالية مصطلح... أدب بين الاعتراف والرفض، مجلة (لغة-كلام)، ص 67.
- ¹⁰ لعواس، ريم، الأدب النسائي بين سؤال الوجود وإشكالية المصطلح، مجلة العلوم الإنسانية والاجتماعية، جامعة الجليلي بونعامة، خميس مليانة، العدد 04، ديسمبر 2020م، ص 106.
- ¹¹ مختاري، فاطمة، خصوصية الرواية النسائية العربية، مجلة آفاق علمية، منشورات المركز الجامعي لتنامنغت، الجزائر، العدد 09، جوان 2014م، ص 41.
- ¹² الشيخ، عمر، مفارقة المصطلح وجذره النقدي.. كيف يؤثر على ذائقة القارئ، ص 09.
- ¹³ بوغنجر، فوزية، أدب المرأة وخصوصية الإبداع - اشتغال متميز على اللغة -، مكتبة أكاديميا العربية، <https://academia-arabia.com/ar/search/result?q=>، ص 2.
- أدب+المرأة+وخصوصية+الإبداع++اشتغال+متميز+على+اللغة
- ¹⁴ ابن جمعة، بوشوشة، الرواية النسائية المغاربية، المغاربية للطباعة والنشر والإشهار، ط 1، تونس، 2003م، ص 15.
- ¹⁵ المرجع نفسه، ص 28.
- ¹⁶ بلخير، ليلي، المرأة العربية ووعي الكتابة، مجلة الموقف الأدبي، اتحاد الكتاب العرب، دمشق، سورية، السنة 45، العدد 540، أبريل 2016م، ص ص 14، 15.
- ¹⁷ إبراهيم، عبد الله، الرواية النسائية العربية - تحليلات الجسد والأنوثة - مجلة علامات، مكناس، المغرب، العدد 17، 30 أبريل 2002م، ص 19.
- ¹⁸ زراقت، عبد المجيد، النسوية الأدبية رؤية نقدية للمعطى والمنهج، مجلة الاستغراب، المركز الإسلامي للدراسات الاستراتيجية، بيروت، لبنان، السنة الرابعة، العدد 16، 2019م، ص 145.
- ¹⁹ الشيخ، عمر، مفارقة المصطلح وجذره النقدي.. كيف يؤثر على ذائقة القارئ، ص 09.
- ²⁰ ونوس، ديمة، الخائفون، دار الآداب للنشر والتوزيع، ط 1، بيروت، لبنان، 2017م، ص 62.
- ²¹ أبو الهوى، سوزان، بينما ينام العالم، تر، سامية شنان تميمي، دار بلومزبري، مؤسسة قطر للنشر، ط 1، الدوحة، قطر، 2012م، ص ص 52، 53.
- ²² عاشور، رضوى، الطنطورية، دار الشروق للطباعة والنشر والتوزيع، ط 1، القاهرة، مصر، 2010م، ص 24.
- ²³ المصدر نفسه، ص 38.
- ²⁴ الدليمي، لطيفة، حديقة حياة، منشورات اتحاد الكتاب العرب، ط 1، دمشق، سورية، 2003م، ص 42.
- ²⁵ المصدر نفسه، ص 60.
- ²⁶ المصدر نفسه، ص 63.
- ²⁷ المصدر نفسه، ص 16.
- ²⁸ المصدر نفسه، ص 8.
- ²⁹ المصدر نفسه، ص 50.

- ³⁰ المصدر نفسه، ص 7.
- ³¹ خريس، سميحة، بقعة عمياء، دار الآن ناشرون وموزعون، ط 2، عمان، الأردن، 2021م، ص ص 5، 6.
- ³² العجيلي، شهلا، سماء قريبة من بيتنا، منشورات الاختلاف، ط 2، العاصمة الجزائرية، الجزائر، منشورات ضفاف، بيروت، لبنان، 2016م، ص ص 17، 18.
- ³³ المصدر نفسه، ص ص 17، 18.
- ³⁴ المصدر نفسه، ص 18.
- ³⁵ المصدر نفسه، ص 104.
- ³⁶ المصدر نفسه، ص 105.
- ³⁷ المصدر نفسه، ص 105.
- ³⁸ المصدر نفسه، ص ص 115، 116.
- ³⁹ الزعبي، كفى، شمس بيضاء باردة، دار الآداب للنشر والتوزيع، ط 1، بيروت، لبنان، 2018م، ص 111.
- ⁴⁰ المصدر نفسه، ص 107.
- ⁴¹ خريس، سميحة، بقعة عمياء، ص 5.
- ⁴² المصدر نفسه، ص 75.
- ⁴³ المصدر نفسه، ص 93.
- ⁴⁴ ابن الشيخ، أحلام، تلقي السرد النسوي العربي المعاصر بين المرجع الفكري والباعث النقدي، مجلة مقاليد، جامعة قاصدي مرباح، ورقلة، الجزائر، العدد 13، ديسمبر 2017م، ص 10.
- ⁴⁵ وغيلسي، يوسف، خطاب التأنيث دراسة في الشعر النسوي الجزائري ومعجم لأعلامه، منشورات محافظة المهرجان الثقافي الوطني للشعر النسوي، وزارة الثقافة، ط 1، قسنطينة، الجزائر، 2004م، ص 26.

قائمة المصادر والمراجع:

• المصادر:

- 01-** الدليمي، لطيفة، حديقة حياة، منشورات اتحاد الكتاب العرب، ط 1، دمشق، سورية، 2003م.
- 02-** أبو الهوى، سوزان، بينما ينام العالم، تر، سامية شنان تميمي، دار بلومزبري، مؤسسة قطر للنشر، ط 1، الدوحة، قطر، 2012م.
- 03-** ونوس، ديمة، الخائفون، دار الآداب للنشر والتوزيع، ط 1، بيروت، لبنان، 2017م، ص 62.
- 04-** الزعبي، كفى، شمس بيضاء باردة، دار الآداب للنشر والتوزيع، ط 1، بيروت، لبنان، 2018م.
- 05-** عاشور، رضوى، الطنطورية، دار الشروق للطباعة والنشر والتوزيع، ط 1، القاهرة، مصر، 2010م، ص 24.
- 06-** العجيلي، شهلا، سماء قريبة من بيتنا، منشورات الاختلاف، ط 2، العاصمة الجزائرية، الجزائر، منشورات ضفاف، بيروت، لبنان، 2016م.

07- خريس، سميحة، بقعة عمياء، دار الآن ناشرون وموزعون، ط 2، عمان، الأردن، 2021م، ص

• المراجع

-الكتب:

- 01- ابن جمعة، بوشوشة، الرواية النسائية المغاربية، المغاربية للطباعة والنشر والإشهار، ط 1، تونس، 2003م.
- 02- واصل، عصام، الرواية النسوية العربية مساءلة الأنساق وتقويض المركزية، دار كنوز المعرفة للنشر والتوزيع، ط 1، عمان، الأردن، 2018م.
- 03- وغليسي، يوسف، خطاب التأنيث دراسة في الشعر النسوي الجزائري ومعجم لأعلامه، منشورات محافظة المهرجان الثقافي الوطني للشعر النسوي، وزارة الثقافة، ط 1، قسنطينة، الجزائر، 2004م.
- 04- سعيد، خالدة، المرأة التحرر الإبداع، نشر الفنك، الدار البيضاء، د ط، المغرب، 1991م.

• المجلات والجرائد:

- 01- بلخير، ليلى، المرأة العربية ووعي الكتابة، مجلة الموقف الأدبي، اتحاد الكتاب العرب، دمشق، سورية، السنة 45، العدد 540، أبريل 2016م.
- 02- زراقت، عبد المجيد، النسوية الأدبية رؤية نقدية للمعطى والمنهج، مجلة الاستغراب، المركز الإسلامي للدراسات الاستراتيجية، بيروت، لبنان، السنة الرابعة، العدد 16، 2019م.
- 03- لعواس، ريم، الأدب النسائي بين سؤال الوجود وإشكالية المصطلح، مجلة العلوم الإنسانية والاجتماعية، جامعة الجيلالي بونعامة، خميس مليانة، العدد 04، ديسمبر 2020م.
- 04- معمري، أحلام، إشكالية الأدب النسوي بين المصطلح واللغة، مجلة مقاليد، مخبر النقد ومصطلحاته، كلية الآداب واللغات، جامعة قاصدي مرباح، ورقلة، الجزائر، العدد 02، ديسمبر 2011.
- 05- مختاري، فاطمة، خصوصية الرواية النسائية العربية، مجلة آفاق علمية، منشورات المركز الجامعي لتامنغست، الجزائر، العدد 09، جوان 2014م.
- 06- ابن الشيخ، أحلام، تلقي السرد النسوي العربي المعاصر بين المرجع الفكري والباعث النقدي، مجلة مقاليد، جامعة قاصدي مرباح، ورقلة، الجزائر، العدد 13، ديسمبر 2017م.
- 07- الشيخ، عمر، مفارقة المصطلح وجذره النقدي..كيف يؤثر على ذائقة القارئ، جريدة النهضة، سورية، العدد 619، الاثنين 10 حزيران 2013م.

• مواقع الأنترنت:

- بوغنجور، فوزية، أدب المرأة وخصوصية الإبداع -اشتغال متميز على اللغة-، مكتبة أكاديميا العربية،
<https://academia-arabia.com/ar/search/result?q=أدب+المرأة+وخصوصية+الإبداع+:+اشتغال+متميز+على+اللغة>